المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.304

العدد الثاني والعشرون / كانون الأول 2023

"ترجيحات الإمام العليمي في تفسيره "فتح الرحمن في تفسير القرآن"

بسام ناجي أحمد
طالب ماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان

إشراف الأستاذ الدكتور محمد سمير ماضي
قسم التفسير وعلوم القرآن
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان

ملخص البحث

يستخلصُ الباحثُ من خلال بحثه الموسوم بـ"ترجيحات الإمام العليمي في تفسيره "فتح الرحمن في تفسير القرآن" إلى أنَّ الترجيح لحُكمٍ أو رأيٍ أو قراءةٍ قرآنيَّةٍ يكونُ بالاعتماد على النصّ القرآنيّ نفسه أو القراءة القرآنيَّة التي يراها مُرجّحةً لرأيِه، أو بالاعتماد على الحديث النبويّ الذي يُفصِّلُ ما أجمله القرآن أو يشرحُ ما غَمُضَ معناهُ، كذلك بالاعتماد على ما يُسمَّى بالناسخ ليكونَ هو المُرجّح، أو بالاعتماد على اللغةِ العربيَّة من خلال معاني الألفاظ والعبارات والبلاغةِ فيها، لتكونَ مُرجّحةً لذاك الحُكم، وكذلك لا ننسى ظاهرَ النصّ أو حقيقةَ الألفاظ التي نأخذُها أوّلًا، فإن تعذّرت نأخذ المجاز، مع الكثير من المُعتمَدَات التي أخذ بها المُفسِّرون في ترجيحاتهم، ثمَّ اعتمدها الشيخ العُليمي –رحمه الله–، سيَّما وأنَّهُ حنبليُّ المذهب، غيرُ متعصبٍ له غالبًا.

وخُلاصةُ القولِ أنَّ المرجِّحات للرأي الذي يراهُ العليمي كثيرة، كان أهمّها القرآن بالقرآن نفسه، ثُمَّ القراءات المتواترة، ثُمَّ السنَّة النبويَّة، ثُمَّ غيرها ممَّا نبشْنا أمثلتها في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : النص القرآني _ المحتوى القرآني _ الدراسة _ المعنى .

Abstract

The researcher deduces from his study titled "The Scholarly Preferences in his Interpretation: The Opening of the Merciful in Quranic Exegesis" that preferences for rulings, opinions, or Quranic readings are made based on relying on the Quranic text itself or the Quranic reading that he considers reliable for his opinion. This may also involve relying on Prophetic traditions that elaborate on the Quranic content or clarify its meanings. Likewise, reliance on what is known as "abrogation" can be a determining factor, or the use of the Arabic language by analyzing word meanings, phrases, and linguistic eloquence to support a specific judgment.

Moreover, the apparent meaning of the text or the actual wording taken primarily into account should not be overlooked. In cases where it becomes difficult to interpret the literal meaning, figurative interpretation can be employed. Many established criteria have been used by scholars in their preferences, which the esteemed scholar also adopted, especially given his affiliation with the Hanbali school of thought and his non-partisan approach.

In conclusion, the preferences of the scholar Al-Olaimi regarding various opinions are numerous. The most significant among them are drawing conclusions from the Quran using the Quran itself, followed by the widely transmitted Quranic readings, then the traditions of the Prophet, and finally other methods that we have explored through examples in the Noble Quran.

Keywords: Quranic text, Quranic content, study, meanings.

تمهيد

يُعدُّ هذا الفصل تطبيقًا عمليًّا لما كنّا قد بحثناه في الفصلين السَّابقين، ولما بيَّناه من نبذة عن حياة الشيخ العليمي –رحمه الله– سيَّما أنَّه حنبليّ المذهب، بل من أئمَّة المذهب في القرن العاشر الهجريّ، ما جعله ينحُو لآراء الحنابلة ويميل إليها، وقد يتعصَّب لبعضها، مع احترامه وتوقيره لكلّ ما كتب في غيرها، وقد علمنا أنَّ الكثير من أساتذته كانوا بغير مذهب، ويعدُّ كتابه التفسير (فتح الرحمن) من تفاسير الحنابلة التي سلمت من الضياع[1].

وقد اعتمد الشيخُ الترجيحَفي المسائل من خلال قواعد الترجيح التي تعتني بالمرجّحات القرآنيَّة أو من السنّة النبويَّة أو من آراء المذاهب الفقهيَّة أو من أسباب نزول الآيات، أو اعتماد الناسخ وترجيحه ولم يكن اهتمام الشيخ العليمي باللغة وأساليبها وأفانين البلاغة فيها ببعيد عن تفسيره، بل كان ممزوجًا بكل ما سبق لشدة عنايته به.

وقد أخذنا السورة الكريمة الزهراء سورة البقرة كميدان لدراسة وتطبيق بعض الترجيحات التي اعتمدها الشيخ، وما أحلاه من ميدان، وما أروعها من سورةٍ تعدُّ من كرائم السور،وسور القرآن كلّها كريمةٌ معطاءة.

---

(1) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، ص38. وهناك تفاسير كثيرة نسبت للحنابلة واشتهرت بذلك، منها زاد المسير لابن الجوزي، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، المجموع لابن تيمية، وتفسير السعدي "تيسير الرحمن في تفسير كلام المنّان". [يُنظر: هامش المقدمة:15].

المبحث الأول: سورة البقرة

المطلب الأوَّل: تعريف "سورة"

السورةُ **لغةً:** «السين والواو والراءأصلٌ واحد يدلُّ على العلوّ والارتفاع. من ذل كسارَ يَسُورُإذاغضب وثار. وإنَّ لغضب هلَ سَوْرَةً. والسُّوَر: جمع سورة،وهي كُلُّ منزلةٍ من البناء»[1].

وسمّيت السورة بذلك «لأنَّها ترتفع فيها من منزلة إلى منزلة، كسورة البناء، للنابغة:

ألم تر أنَّ الله أعطاك سورةًترى كلّ ملك دونها يتذبذب

أي منزلة شرف ارتفعت عن منازل الملوك، وقيل: سمّيت بذلك لأنَّها قطعة من القرآن»[2].

وذكر البعض أنَّها سُمّيت سورة لتمامها وكمالها، من قول العرب الناقة التامة سورة[3].

والسورةُ **اصطلاحًا:** عرَّفها العلماء بتعريفات كثيرة تدور حول معنًى واحدٍ، يقول الطاهر بن عاشور: «السورةُ قطعةٌ من القرآن، معيّنةٌ بمبدأ ونهاية لا يتغيَّران، مُسمَّاةٍ باسمٍ مَخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تامّ ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول، أو عن مُقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المُتناسبة. وكونها تشتمل على ثلاث آيات مأخوذ من استقراء سور القرآن»[4].

---

(1) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 115/3.

(2) الداني، أبو عمر، **التبيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1992/1، ص125.

(3) ينظر: **تفسير الطبري** (جامع البيان)، 46/1، **ولسان العرب**، مادة سور، 52/6.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 84/1.

وقد ذكر الإمام السيوطي أنَّ الحكمة في تسوير القرآن الكريم إلى سور هو تحقيق كون السورة بمجردها معجزة، وآية من آيات الله عز وجل، فكل سورة نمط مستقل، فسورة يوسف مثلًا تترجم قصته، وسورة براءة تترجم أحوال المنافقين وأسرارهم[1].

المطلب الثَّاني: تقسيم السور

1- تقسيم السور حسب طولها[2]:

- **السُّور السبع الطوال:** لأنها أطول السور في القرآن الكريم، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال.

- **السُّور المِئون:** ما وَلِيَ الطُّوَل، وهي السور التي تزيد على مئة آية أو تقاربها[3]، وهي: المؤمنون، الأنبياء، الحِجر، الكهف، الإسراء، يوسف، النحل، طه، الشعراء، الصافات، هود، يونس.

- **السُّور المفصَّلَة:** ما وَلِيَ المثاني من قصار السور: «سمّيت بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل لقلّة المنسوخ منه، ولهذا يسمَّى بالمُحكَم، وآخرها سورة الناس»[4]، وهي: الحجرات، البروج، الطارق، البينة، الزلزلة، الناس.

- **السُّور المثاني:** ما وَلِيَ المئين «لأنَّها ثَنَتها؛ أي كانت بعدها، فهي لها ثوانٍ، والمئون لها أوائل»[1]، وهي: الفتح، الحشر، السجدة، الطلاق، القلم، الحجرات، الملك، التغابن، المنافقون...

---

(1) ينظر: السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، 187/1.

(2) ينظر: شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنية**، (خصائص السور)، 1/المقدمة.

(3) ينظر: السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، 180/1.

(4) ينظر: المرجع السَّابق، 181/1.

2- السور حسب افتتاحها بـ(ألــم):البقرة، آل عمران، الأعراف، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.

3- السور حسب بداياتها (المسبِّحات):الإسراء، الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، الأعلى.

4- السور حسب بدايتها بـ(ألــر):يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر.

5- السور العِتاق[2]: الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء.

6- السور العزائم: السجدة، فصلت، النجم، العلق.

7- السور حسب بدايتها بـ(قلْ): الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس.

8- السور الطواسين، بدايتها بـ(طس): الشعراء، النمل، القصص.

9- السورتان الزهراوان:البقرة، آل عمران.

10- السورتان القرينتان: الأنفال، التوبة.

المطلب الثَّالث: عدد سور القرآن الكريم

عددها مئة وأربع عشرة سورة، بإجماع الصحابة، وقيل: هي مئة وثلاث عشرة سورة، بجعل سورة الأنفال وسورة براءة سورة واحدة[3].

---

[1] ينظر: المرجع السَّابق، 180/1.

[2] هي أوَّلُ ما نزل من القرآن الكريم.

[3] ينظر: السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، 184/1.

المطلب الرَّابع: تعريف "الآية"

«الآية: طائفة من حروف القرآن الكريم، عُلِمَ بالتوقيف انقطاعها»[1]، وقال الزمخشري: «الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، لذلك عدوا (ألم) آية حيث وقعت، و(ألمص)، ولم يعدوا (ألمر) و(ألر)، وعدوا (حم) آية وسورها، (طه) و(يس)، ولم يعدوا (طس) آية»[2].

والآية هي العلامة:«أي أنَّها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصالها، وتقول العرب: بيني وبينك فلانٌ آية؛ أي علامة، وأنشدونا للنابغة:[3]

توهمت آيات لها فعرفتهالستة أعوامٍ وذا العام السابع

أي علامات»[4].

وذكر البعض أنها سميت آية لأنَّها عَجَبٌ، يعجز البشر عن التكلم بمثلها[5].

وأمَّا **الكلمة** في الآية فهي «الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات، وأطول الكلم في كتاب الله عزّ وجلّ ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله تعالى: قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴿٢٨﴾ [هود: 28]، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ

---

(1)ينظر: المرجع السَّابق، 187/1.

(2)ينظر: المرجع السَّابق، 188/1.

(3)ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1996/3م: 52.

(4)الداني، أبو عمر، **التبيان في عد آي القرآن**، ص125.

(5)يُنظر: الطبري، **تفسير الطبري "جامع البيان"**، 47/1؛ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 266/1.

مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) الحجر: 22]، فهي عشرةُ أحرف في الرسم وأحد عشر حرفًا في اللفظ، ولا نظير لها، وأقصر الكَلِمِ ما كان على حرفين، نحو: ما، لك، له، به...»[1].

والحرف: وهو ما يؤلف الكلمة، وقد يأتي في القرآن الكريم حرفًا واحدًا دون تأليف، وعند أهل اللغة: «الحرف هو المقطوع من حروف المعجم»[2].

وقد يكون الحرف في غير هذا المذهب والوجه، قال الله عزّ وجلّ: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) [الحج: 11]؛ أي على وجهٍ ومذهب[3]، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[4]؛ أي أوجه من اللغات.

المطلب الخامس: سورة البقرة

سورة البقرة من السور المدنيَّة، التي تُعنى بمسائل التَّشريع والأحكام الفقهيَّة والعقيدة والأخلاق وبعض القصص القرآنيّ الهادف.

ولسورة البقرة أهمية كبيرة في القرآن الكريم، فهي ليست تتميَّز بطولها فحسب إنَّما لما تضمنته من مبادئ وأساسيَّات تشريعيَّة وعَقَديَّة وتَعَبُدِيَّة وأخلاقيَّة.

---

(1) الداني، أبو عمر، **التبيان في عدّ آي القرآن**، ص126.

(2) المرجع السَّابق، ص127.

(3) الطبري، **تفسير الطبري** "جامع البيان"، 122/17.

(4) **مسند الإمام أحمد**، مُسند المُكثرين من الصحابة، مُسند أبي هريرة، رقم الحديث: (8390)، 19/5.

وقد اعتنى العلماء المسلمون بهذه السورة عناية فائقة لعظمتها وقيمتها الدينية، وقد كتب المفسرون في بداية تفسيرهم لهذه السورة الكثير من فضائلها ولطائفها، ثُمَّ غاص في بحر علومها أهل التفسير وأهل البلاغة وأهل اللغة والنحو، وأهل علوم القرآن وأحكامه، وإنَّ العلماء منذ القديم اعتنوا بهذه السورة خصوصًا فأفردوا لها الحديث، ثم تابعهم الكثير من العلماء المُحْدَثين، ومنهم **محمد عبد الله دراز*** في كتابه "النبأ العظيم" نظرات جديدة في القرآن، إذ أفرد لهذه السورة بابًا لم يجعل مثله لغيرها، ووسمه بـ(نظام عقد المعاني في سورة البقرة)[1].

وسورة البقرة استغرقَت جُزأين ونصف الجزء من القرآن الكريم (أي من ثلاثين جزءًا)، «ولهذا فإنَّ الرجل إذا حفظ سورة البقرة عَظُمَ في عيون المسلمين»[2].

وأمَّا عدد آياتها فهو (286) آية في المصاحف التي بين أيدينا، وقد نقل أبو عمر الداني الخلاف في عدّ آياتها، «وهي مِئتا آية وثمانون وخمسُ آياتٍ في المدنيين والمكّي والشّامي، وستٌّ في الكوفي وسبعٌ في البَصْريّ»[3]، وما رجّحهُ الشيخ **العليميّ**:«وآيُها مئتان وثمانون وستُّ آيات»[4].

وسورة البقرة «مدنيَّة بلا خلاف»[5]، وهي أيضًا «أوَّلُ سورةٍ نَزَلت في المدينة»[1].

***محمد عبد الله درّاز** (ت1958م): فقيه وأديب مصريّ أزهريّ، من مؤلفاته: "الدين"، "النبأ العظيم"، "دراسة تمهيديَّة لتاريخ الإسلام". [الزركلي، **الأعلام**، 246/6].

(1) يُنظر: دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**، ص204.

(2)شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنيَّة**، 43/1.

(3)الداني، أبو عمر، **التبيان في عدّ آي القرآن**، ص140.

(4)العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 48/1.

(5)الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار البيضاء، الجزائر، ط1990/5، 29/1.

وهذه السورة تُعنى بالأمور التشريعيَّة، شأنُها شأنُ كلّ السور التي تهتمُّ بالأحكام التشريعيَّة التي يحتاجها المُسلمون في حياتهم الاجتماعيَّة[2].

أسماء سورة البقرة:

ولأهمّيّة هذه السورة ازدانت بأسماء كثيرة، منها ماهو توقيفيّ ومنها ما هو اجتهاديّ:

– الأسماء التوقيفية[3]: الاسم الأول: وهو الأشهر والأظهر "**سورة البقرة**"، وقد ورد في أحاديث عدّة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[4]، وورد هذا الحديث أيضًا عند مسلم في صحيحه، في باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من أواخر البقرة[5].

الاسم الثَّاني:"**سورة الزهراء**"وهذا الاسم أيضًا اكتسبته السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ففي حديث أبي أُمامة الباهليّ، أنَّه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: «اقرؤوا القرآن فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنَّهما تأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان

---

(1) شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنيَّة**، 43/1.

(2) يُنظر: الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، 29/1.

(3) يُنظر: رسالة ماجستير بعنوان "**الوحدة الموضوعيَّة لسورة البقرة**"، إعداد: إبراهيم أحمد البحري، جامعة صنعاء، اليمن، كلية التربية، 2002م، ص4.

(4) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، رقم الحديث (4723)، 914/4.

(5) **يُنظر: صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث (808)، 558/1.

أو كأنَّهما غيايتان، أو كأنَّهما فرقان من طيرٍ صَوَاف، تحاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإنَّ أخْذَها بَرَكَة وتركَها حَسْرة، ولا تستطيعها البَطَلَة»[1].

– الأسماء الاجتهاديَّة[2]:

سورةُ البقرة **سَنامُ القرآن**: والسنام هو أعلى مافي الطيعة الحاملة وهي أعلى ما في الحامل للأمة في مسيرهم إلى دار القرار، وإلى حياة دنيوية سعيدة.

وتسمَّى أيضًا**فسطاطُ القرآن**: والفسطاط هو الشيء العالي المُرتفع وسورة البقرة أطول سورة وهي فسطاط العلوم، «وذلك لعظمها وبهائها، وما تضمنت من الأحكام والمواعظ»[3].

المطلب السَّادس: أسباب نزول سورة البقرة

إنَّ لفظ أسباب النزول معروفٌ بين المُفسّرين، وله دلالات كثيرة، ولا بدّ من الاطّلاع على معناه.

⊛السببُ **لغةً**: لفظُ أسباب جمع سبب، والسبب هو «الحبل»[4]، وعند ابن منظور: «السبب هو الحبل الذي يُتوصّل به إلى الماء، واستعير به أيضًا إلى كلِّ ما يُتوصل به إلى الشيء»[5].

وفي سورة البقرة: {إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ} (166) [البقرة: 166]؛ أي «تقطَّعت عنهم الصِّلات التي كانت بينهم في الدنيا من قرابات وأولاد وموالاة وصارت عداوة»[1].

---

(1) **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم الحديث (804)، 552/1.

(2) يُنظر: رسالة ماجستير بعنوان "**الوحدة الموضوعيَّة لسورة البقرة**"، ص6.

(3) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 48/1.

(4) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (سبَّ)، 64/3.

(5) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سبب)، 457/1.

والسبب **اصطلاحًا** يأخذ معناه اللغويّ في أنَّه ما يُتوصَّلُ به إلى معرفة الحادِثَة التي هو بصددها.

⊛النزولُ **لغةً**: «نَزَلَ كلمةٌ تدلُّ على هبوط الشيء ووقوعه، ونزل عن دابّته نزولًا، ونزل المطر من السماء نزولًا، والنزيل الضيف، والتنزيل: ترتيب الشيء ووضعه منزله»[2].

وفي قوله تعالى: وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (29) [المؤمنون: 29]، هو دعاء سيدنا نوح عليه السلام بعد الطوفان الذي قطع دابر القوم الظالمين، فدعا نوح ربه أن ينزل السفينة في أرض مباركة، ليدخل منزلًا يرضاه ومن معه ويبارك لهم فيه[3].

والنزول **اصطلاحًا** نُزول القرآن الكريم على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم من الله تعالى عن طريق الوحي، فيقال عادةً: إنَّ القرآنَ نزل عليه نزولًا أو تنزُّلًا، إشارةً إلى علوِّ الجهة التي اتصل به النبي صلى الله عليه وسلَّم، فتلقَّى القرآن الكريم عن طريق الوحي[4].

ومن اجتماع الكلمتين (السبب– النزول) بمعانيهما اللغويَّة والاصطلاحيَّة يكون معنا معنى أسباب نزول السورة أو الآية أو الحادثة التي نزل بسببها، وقد شرح السيوطي ما يُغني عن معنى سبب النزول والحكمة من معرفته: «إنَّ نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداءً، وقسمٌ نزل عُقبَ واقعة أو سؤال»[5]، ويذهب إلى ذكر الكثير من الفوائد:

---

(1) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 237/1.

(2) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة نزل، 417/5.

(3) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، 31/3.

(4) يُنظر: الزركشي، **البرهان**، 230/1.

(5) السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، 82/1.

- أورد قول **الواحدي*** أنَّه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان سبب نزولها[1].
- وأورد قول ابن دقيق العيد: بيان سبب نزول السورة أو الآية طريقٌ قويٌّ في فهم معاني القرآن[2].
- وأورد قول ابن تيمية: معرفةُ سبب النزول يُعين في فهم الآية، فإنَّ العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبّب[3].

ثُمَّ أورد السيوطي اختلاف أهل الأصول في «هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟والأصحّ عندنا الأول، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها، كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية، وحد القذف في رماة عائشة، ثُمَّ تعدَّى إلى غيرهم، ومن يعتبر عموم اللفظ قال: خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر، كما قُصرت آيات على أسبابها اتفاقًا لدليل قام على ذلك، قال الزمخشري في سورة الهُمزة: يجوز أن يكون السبب خاصًا والوعيد عامًّا ليتناول كلّ من باشر ذلك القبيح، وليكون ذلك جاريًا مجرى التعريض»[4].

ولا يخفى على أحد أنَّ اللفظ أعمُّ من السبب، وسُئِلَ ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن قوله، أخاصٌّ أم عام؟ قال: بل عام[5].

---

* أبو الحسن علي بن علي الواحدي النيسابوري **الواحدي** (ت468هـ): كان حافظًا ومفسرًا نحويًّا، شرح ديوان المتنبي، من مؤلفاته: "تفسير الوجيز"، "المغازي"، "الاغراب في الإعراب". [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 303/3-304؛ السيوطي، طبقات المُفسّرين، ص78؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 114/12؛ الزركلي، الأعلام، 340/18-341].

(1) ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 83/1.

(2) ينظر: المرجع السَّابق، 84/1.

(3) ينظر: المرجه السَّابق، 84/1.

(4) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 85/1.

(5) ينظر: المرجع السَّابق، 86/1.

وأمَّا معرفة سبب النزول فهو «أمرٌ يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم»[1]، فإنَّ الصحابي هو الذي شهد الوقائع التي حصلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وهو الذي كان جزءًا من هذه الوقائع فقد شهد الوحي وتنزله، فكان حديث الصحابي عن سبب النزول كأنَّه يتحدَّث عن الحكم الذي يريده من ذلك السبب. ومن ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلَّا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلَّا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم منّي بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[2].

وقد يتعدَّد السبب في نزول الآية، وهو كثير في القرآن الكريم[3].

وقد بسَّط علماء التفسير أسباب نزول السور في تفسيراتهم، أو تفسير بعض الآي، فمِنَ المُفسّرين من أسهب في الحديث عن الأسباب، مؤيّدين أقوالهم بالأدلَّة الواردة في هذا الباب، ومنهم من اختصر هذه الأسباب فذكر بعضها الذي يُفيد الحكم المُستفاد من الآية، وجُلُّ المفسّرين كانوا يبدؤون تفسير السورة مباشرةً دون ذكر الأسباب والوقوف عندها.

أمَّا سورة البقرة فإنَّ الإجماع على أنَّها أوَّلُ سورةٍ نزلت في المدينة المنوَّرة[4]، وقد ذكر الواحدي أسبابًا للسورة والآيات فيها، بَيْدَ أنَّه لم يورد أسبابًا لنزولها منذ البداية، بل إنَّه أورد تفسير الآيات الأولى في سورة البقرة،

---

(1) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 89/1.

(2) **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عبد الله بن مسعود، رقم الحديث (2463)، 913/4.

(3) يُنظَر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 95/1.

(4) الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1991م، 23/1.

فقال: «نزلت في المؤمنين الآيات الأولى»[1].ثُمَّ ذكر الآيتين التاليتين، ثُمَّ الآيات التي بعدها «الآيتان في المؤمنين، والآيات بعدها الثلاث عشرة نزلن في المنافقين»[2]. ثُمَّ يُتابع ذكر الآيات التي نزلت بسبب، فأشار إليه أو أسنده إلى الصحابة كما فعل منذ بدايتها.

وكما ورد أيضًا أنَّ نزول سورة البقرة كان على مراحل[3]، وعلى مدى سنوات لا جُملةً واحدةة، لذا فإنَّ تعدّد أسباب النزول سيكون بتعدّد المراحل التي نزلت فيها آي السورة، «ورد عند البخاري أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: (وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده) تعني النبي صلَّى الله عليه وسلم، وكان بناء رسول الله صلى الله عليه وسلَّم على عائشة في شوال السنة الأولى للهجرة، وورد عنها أنَّها مكثت عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين فتوفي وهي بنت ثمانَ عشرة سنة، إلَّا أنَّ اشتمال السورة على أحكام الحج والعمرة، وأحكام القتال في الشهر الحرام والبلد الحرام ينبئ باستمرار نزولها إلى سنة خمس أو ست»[4].إلَّا أنَّنا نذكر سبب تسمية السورة بـ(سورة البقرة)، اختصرَ سبب التسمية لهذه السورة العظيمة الشيخ محمد علي الصابوني –رحمه الله– بقوله: «سمّيت السورة بهذا الاسم إحياءً لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت زمن موسى الكليم، حيث قتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله، فعرضوا الأمر على موسى لعلَّه يعرف القاتل، فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة، وأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل،

---

(1) المرجع السَّابق، 24/1.

(2) المرجع السَّابق، 24/1.

(3) المرجع السَّابق، 25/1.

(4) الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، 201/1.

وتكون برهانًا على قدرة الله جلّ وعلا في إحياء الخلق بعد الموت»[1]، وقصة البقرة تبدأ في السورة من الآية 67، وهي قصّة مُثيرة معجزة فيها أحكام كثيرة تتعلَّق بالعقيدة والأخلاق والمعاملات.

وانفردَت هذه السورة بذكر القصة التي سمّيت بها، وهي من الآية 67 حتى73 من السورة.

فقد ذكرت حادثة قتل وقعت في بني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام «فكان للبقرة في هذه القصة شأن إلهي عجيب»[2]، مع أنَّ بني إسرائيل عبدوها فترةً طويلة وقدَّسوها من دون الله عزّ وجلّ؛ أي كانت علامةَ شِركهم وكُفرهم... «وقعت الجناية وقتل القتيل واختلف أهل الحي الذي وقعت الجناية بينهم: من يكون القاتل؟ وأخذ كلٌّ يدفع الجناية عن نفسه ويتّهم بها غيره، وفيهم من يعلم عين الجاني ويكتم أمره: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}. [البقرة: 72]، وترافع القوم إلى موسى عليه السلام ليحكم في هذه الجناية التي خفي مرتكبها»[3].

توجَّه موسى إلى ربّه ليسأله عن الأمر، فجاء الأمر من الله بأن يذبحوا بقرة –دون أن يصفها–، ثُمَّ يأخذوا قطعة من لحمها ويضربوا القتيل بها، ثُمَّ بمعجزة من الله يحيا القتيل ويخبر الناس عن اسم قاتله، فما كان من بني اسرائيل إلَّا العناد والكبر والاستهزاء: وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ [البقرة: 67]، وما كان منهم إلَّا التشدُّد بطلب أوصاف البقرة فشدَّد الله عليهم[4].

---

(1) الصابوني، محمد علي، **صفوة التَّفاسير**، 30/1.

(2) شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنيَّة**، ص43.

(3) المرجع السَّابق، ص44.

(4) ينظر: شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنية**، ص44.

وكان تشدُّدهم نتيجة كِبْرِهم وكُفرِهم وسُخريتهم من موسى عليه السلام، ما أدَّى إلى قسوة قلوبهم فعَمِيَت عمَّا شاهدوه من المعجزات التي بيّنت القتيل: من ذبح البقرة ومن إحيائها، ثُمَّ تحدُّثها، ثُمَّ لفظها باسم القاتل، وبدل أن يرعووا ويعودوا إلى عقولهم ويسيرون على طريق الهداية، فَسَقُوا وكَفرُوا بكلّ ما رأوه، وأعرضوا عن كلِّ ماهو حقّ، فكانت الفتن ديدنهم، وكان قتل الأنبياء بطولتهم، وكان استهزاؤهم بالرسل آيتهم، وكان المكر والخديعة صفتهم، لذا فإنَّ القرآن الكريم حذّر المؤمنين المسلمين منهم ومن مصايدهم ومكائدهم، وقد ورد في الطبري: «لا تكونوا كبني إسرائيل، شدّدوا فشدّد الله عليهم»[1].

وقد قال نبينا المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم برواية عبد الله بن عمرو: «ذروني ما تركتكم، فإنَّما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوه وإذا نهيتكم عن شيءٍ فانتهوا عنه ما استطعتم»[2].

المطلب السَّابع: مضامين السورة

يرى الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله– أنَّ هذه السورة هي «أجمع سور القرآن لأصول الإسلام وفروعه، ففيها بيان التوحيد والبعث والرسالة العامَّة والخاصَّة، وأركان الإسلام العمليَّة، وبيان الخلق والتكوين وبيان أحوال أهل الكتاب والمُشركين والمُنافقين في دعوة القرآن، ومحاجَّة الجميع وبيان أحكام المعاملاتالماليَّة والقتال والزوجيَّة، والسور الطوال التي بعدها متمِّمَة لِمَا فيها»[3].

---

(1) ينظر: **تفسير الطبري**، 48/1، ذكره عن قتادة عن سعيد.

(2) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع مُتشابه القرآن، رقم الحديث: (6776)، 831/4. وقد سبق تخريجه ص47.

(3) رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط/1990م، 240/7.

فكان كلام الشيخ –رحمه الله– جامعًا مُختصرًا لكلّ ما قيل فيها، بَيْدَ أننا لا بدَّ أن نذكر بعض التفصيلات لما تضمنته هذه السورة لنصل إلى معرفة مقاصدها ومقاصد أحداثها:

– تناولت السورة صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين، فبينت السورة حقيقة الإيمان وماهية الكفر وماهية النفاق.

– تناولت السورة بعد هذا قصة نبيّ الله آدم عليه السلام وأمر الله الملائكة بالسجود له، ثُمّ قصة تكوينه وتكريم الله له.

– ثُمَّ أسهب البيان الإلهي الحديث عن أهل الكتاب، بدءًا من أمر اليهود (بني اسرائيل)، وحذَّر القرآن من مكر وخبث اليهود وما انطوت عليه نفوسهم من غدر وخيانة ونقض للعهود.

– ثُمَّ تناولت السورة أحكام التشريع، إذ كانت السورة من أوائل ما نزل في المدينة، حيث نزلت على مراحل لتفيد الحوادث التي تقع مع المسلمين فذكرت «أحكام الصوم مفصّلة بعض التفصيل، وأحكام الحجّ والعمرة، وأحكام الجهاد في سبيل الله، وشؤون الأسرة وما يتعلّق بها من الزواج والطلاق والرضاع والعِدّة وتحريم نكاح المُشرِكَات، والتحذير من معاشرة النساء في المحيض، إلى غير ماهنالك من أحكام تتعلق بالأسرة؛ لأنَّها النواة الأولى للمجتمع الأكبر»[1].

– ثُمَّ أكّدت السورة تحريم الربا الذي كان متفشّيًا في المجتمع، وتحدَّث البيان الإلهيّ عن أضرار الربا بالأفراد والمجتمع والاقتصاد معلنة الحرب على الربا وأهله، وهي أشد حرب، وانتهت السورة إلى آيات ثلاث فيها

(1) الصابوني، **صفوة التفاسير**، 30/1.

أركان الإيمان وفيها الدعاء والتضرّع إلى الله عز وجل وفيها فضائل كثيرة[1]، حث النبي صلى الله عليه وسلم على قراءتها (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه)[2].

– وكان ختام سورة البقرة توجيهًا للمؤمنين إلى الإكثار من الذكر وإلى التوبة والعودة إلى الله، وإلى دعاء الله عزّ وجلّ ألَّا يعامل المؤمنين بتقصيرهم وأخطائهم ثُمَّ طلب النصرة على الكافرين.

المطلب الثَّامن: مقاصد وأهداف السورة

من خلال مضامين ومواضيع السورة تظهر الأهداف والمقاصد من هذه الآيات المتنوعة الأحكام والتشريعات التي تتعلق أولًا بالعقيدة ثم بالأخلاق ثم بالمعاملات، مع مافي السورة من قصص السابقين:

1– العقيدة:

تعدُّ العقيدة المقصد الأساس والأسمى في مقاصد الشريعة الإسلامية وفي مقاصد القرآن الكريم، ولا تخلو سورةٌ من ذكر العقيدة أو ما يتعلق فيها، ويتمثل هذا المقصد في «دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام»[3] وقد جاء هذا المقصد واضحًا في الآيات (من21 حتى25)، بعد أن تحدَّث عن صفات المؤمنين ثُمَّ الكافرين ثُمَّ المنافقين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]، ثُمَّ جاء البيان الإلهيّ بالكثير من الأدلّة العقليَّة والحسّيَّة التي تدلُّ على وجود الله وقدرته ومعجزاته وتسخير كلّ شيء لخدمة الإنسان وليكون عابدًا لله عزّ وجلّ مع وصف الجنَّة ومرغباتها والنار ومرهباتها.

---

(1) ينظر: المرجع السَّابق، 30/1.

(2) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، حديث (5009)، 914/4. وقد سبق تخريجه ص80.

(3) دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**، ص217.

ثُمَّ دعا القرآن الكريم أهل الكتاب دعوةً خاصّة إلى ترك الشرك والباطل والدخول في هذا الدين الحق[1]، وقد أطال الحديث في هذا الجانب (من الآية 40-162)، «وحسبك أن تعلم أنَّ هذه السورة هي غرّة السور المدنيَّة، وأنَّ المدينة كان يسكنها أشدُّ الناس عداوةً للذين آمنوا وأكثرهم جدالًا في دينهم بما أتوه من العلم قبلهم»[2].

فقد تحدَّث القرآن في هذه الآيات عن بني إسرائيل وكيف تعاملوا مع موسى عليه السلام، ثُمَّ عن اليهود في المدينة أثناء البعثة المحمديَّة، ثُمَّ عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وكيف كان موحِّدًا مسلمًا حنيفًا، وهكذا نجد أنَّ السورة مَليئة بالآيات الواضحة المقصد العَقَديّ أو الآيات التي تُشير وتوحي إلى الإيمان بالله، أو التي تتحدَّث عن صفات المؤمنين أو التي تتحدَّث عن أركان الإيمان.

2- الأخلاق:

ولا يخفى على أحدٍ دور الأخلاق في الدين، إذ يتعلَّق بالعقيدة من جهة ويتعلَّق بالمعاملات من جهةٍ أخرى، وهي مَقصَدٌ سامٍ يرومُه الشرع في كلّ تعاملات المُسلمين، وقد أثنى الله عزّ وجلّ على رسوله المصطفى بالخلق: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: 4]، وقد شغلت الأخلاق والحديث عنها أكثر سورة البقرة لما فيها من صلاح للفرد والمجتمع، ولما في النهي عنها إبعاد عن الفساد للفرد وللمجتمع.

وقد شمل النصف الأخير من السورة الحديث عن التشريع الذي يطبَّق بأخلاق إسلاميَّة تزين المسلم في معاملاته، إذ نهت عن الميسر وعن شرب الخمر، وحثت على الإحسان لليتامى، وكل هذا يتعلق بالأخلاق.

---

[1] ينظر: المرجع السَّابق، ص219.

[2] المرجع السَّابق، ص220.

3- العبادات:

وكما أسلفنا القول آنفًا: السورة تعدُّ غرّة السور المدنيَّة التي نزلت في المدينة المنورة؛ أي أنَّ المسلمين جاؤوا إلى مجتمعٍ جديد، ويهدف النبي صلَّى الله عليه وسلَّم إلى إقامة مجتمع جديد، وهذا المجتمع لا بدَّ من أخلاق تجعله مستمرًّا قائمًا صحيحًا سليمًا، وأيضًا لا بدَّ فيه من تشريع جديد يتمثَّل بالأحكام ويتمثَّل بالمعاملات ويتمثَّل بالعبادات، وقد ذكرت السورة من ذلك القصاص في القتل العمد، وذكرت الصيام والوصية، والاعتكاف، والتحذير من أكل أموال الناس بالباطل، ثُمَّ ذكرت الأهلَّة التي جعلها الله ليعتمد الناس عليها في أوقات العبادة والزراعة وغيرها، وذكرت الحجّ والعمرة، ثُمَّ ذكرت مصاهرة المُشركين وحيض النساء والتطهّر منه، والطلاق والعدّة، والخلع والرضاع، والأيْمان والكفارات والبيوع والربا، وتوثيق الديون بآية تعدُّ أطول آية في القرآن الكريم (آية المداينة)[1]، وقد ذكر الله تعالى تحويل القبلة والحكمة من ذلك.

وقد حذر الله عزّ وجلّ المُسلمين من اتّباع أحكام الجاهليَّة إن كان عقيدةً أو أخلاقًا أو عبادات: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، وحذر من الاحتكام لغير شرع الله في كثير من الآيات، فحرَّم بعض الذي كان عليه أهل الجاهلية وأهل الكتاب قبلهم[2].

4- المعاملات:

يقصد التشريع الإسلاميّ إلى ضبط المعاملات بين المسلمين مع بعضهم وبينهم وبين غيرهم من أهل الكتاب أو المشركين، أمَّا مع بعضهم فالمعاملات الاقتصاديَّة (بيوع-هبات- ديون) والتحذير من الربا أو المعاملات

(1) شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنية**، ص46.

(2) ينظر: دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**، ص237.

الأسريَّة (الزواج وأحكامه– الطلاق وآثاره) وما يتعلَّق بالعلاقة الزوجيَّة بين الزوجين الخاصَّة والأخلاقيَّة، ولو عدنا إلى الآيات (من215 حتى 237) نجدها تتحدَّث عن أحكام الأسرة وشؤون الحياة الزوجيَّة بدستور حكيم فقد جاءت الآيات مؤلفة من شطرين:

1– شطرها الأول: يعالج شؤون الأسرة أثناء اتصالها وقيام الزوجيَّة.

2– شطرها الثاني: يعالج شؤون الأسرة حال انحلالها وانفصالها، وبالطبع لها أسباب نزول تبينالمقصد بوضوح أكثر وتشرح الألفاظ بأسلوب بياني إجمالي[1].

ثُمَّ المعاملات الماليَّة بين الناس، ثُمَّ معاملة غير المسلمين بالالتزام وعدم الاعتداء[2].

وإنَّ المتأمّل في هذه السورة الكريمة يجد وكأنَّها ترسم طريق الدولة الإسلاميَّة وأسسها وأصولها، بما يتعلَّق بالعقيدة الحقّ، والأخلاق السَّامية، ثُمَّ العبادات التي تضبط تصرفات الناس المسلمين تجاه ربّهم عزّ وجلّ وتجاه المسلمين وغيرهم، ثُمَّ المعاملات التي لا تخرج عن ضوابط العقيدة والأخلاق، وكأنَّ سورة البقرة رسمٌ إجماليٌّ عامٌّ، ثُمَّ يأتي التفصيل في السور اللاحقة بها (الطّوال وغيرها) مع مافي السنّة النبويَّة من إرشادٍ وتوجيه، وكلّ هذا كان ترغيب من جهة وترهيب من جهة، فالترغيب كان بذكر الجنة وما فيها، وبترهيبٍ يكون في عيش ضنك ومصير أخرويّ أليم... وبتذكير لما كان يحصل للأقوام السابقة عن طريق قصّ القصص ذات العبرة لأولي الألباب، لتكون القصص تثبيتًا للمؤمنين ومواساة للمألومين، وتصبيرًا لهم وتذكيرًا

---

[1] ينظر: المرجع السَّابق، ص248.

[2] شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنيَّة**، ص46.

لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، إلَّا أن قصة البقرة تعتبر من أعجب القصص وأغربها، فكانت السورة إحياءً لذكراها[1] وموعظة للمسلمين.

المطلب التَّاسع: أحداث السورة

وبما أنَّ هذه السورة عظيمةٌ وطويلةٌ فبالتأكيد ستكون أحداثها مُتنوعة وكثيرة، وبما أنَّ هذه السورة من أوائل ما نزل في المدينة المنورة؛ أي وقت تأسيس الدولة الإسلاميَّة، فهي تهتمّ بأمور الأحكام المَدَنيَّة التي تطال أمور السياسة والاقتصاد والاجتماع، بيْد أنَّها تتمحور حول مبدأين اثنين:

أ- المحور الأول: العقيدة الصحيحة، وأصول الدين، وما هو في فلك العقيدة ويتعلق فيها[2]:

- قصة خلق الله آدم عليه السلام.
- حوار الله عز وجل مع الملائكة.
- حوار الله عز وجل مع إبليس وتكبره على أوامره.
- حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاولة إقناعهم بالتوحيد وعبادة الله.

ب- المحور الثاني: بنو اسرائيل ومواقفهم من الأنبياء ومن العقيدة ومن الدعوة الإسلامية، وأعمالهم وغدرهم[3] والتحذير من مكائدهم ومصايدهم ومن الموالاة لهم.

---

(1) الصابوني، **صفوة التفاسير**، 28/1.

(2) ينظر: رسالة **فضل سورة البقرة**، ص16.

(3) ينظر: رسالة **فضل سورة البقرة**، ص15.

وقد أسهب الشيخ عبد الله دراز في تقسيم مضمون سورة البقرة وأحداثها فقسَّمها حسب الآيات وتسلسلها، سنأخذ تقسيمه ونختصر كما نرى نحن في الآيات:

من الآية 1-20: التعريف بالقرآن الكريم وعظمته وهدايته، ثُمّ تقسيم الناس بشأنه تعالى إلى ثلاث فئات: مؤمنة به، وكافرة به، ومترددة حائرة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[1].

من الآية 21-25: دعوة الناس إلى عبادة الله عز وجل وعدم الإشراك به والترغيب بكتابه العزيز والتخويف من عذاب الله[2].

من الآية 26-39: ضرب الأمثال لتقريب الصورة التي يريدها الله عز وجل في تفصيل الحق والباطل والنافع والضار وتقسيم الناس إلى من اهتدى ومن ضلّ.ثُمَّ يصف الجنَّة ويرغب بها ويصف النار ويحذّر منها[3].

من الآية 40-162: دعوة أهل الكتاب إلى ترك الباطل واتّباع الدّين الحقّ، فقد قسّمت هذه الآيات إلى:

- الحديث عن اليهود منذ بعثة موسى عليه السلام فيهم.
- الحديث عن أحوال الفئات المعاصرة للبعثة المحمدية.
- الحديث عن الإسلام منذ إبراهيم عليه السلام.
- الحديث عن حاضر المسلمين وقت بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[4].

---

(1) ينظر: دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**، ص206.

(2) ينظر: المرجع السَّابق، ص216.

(3) ينظر: المرجع السَّابق، ص218.

(4) ينظر: دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**،ص227.

فحين ذكر اليهود وما حصل معهم من إنجاء الله لهم من فرعون، ثُمّ حادثة إغراق فرعون، ثُمَّ ردّتهم وعبادتهم العِجل، ثُمَّ قبول توبتهم، ثُمَّ ذكر اليهود حين بعثة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وغدرهم وخيانتهم وعملهم السحر وتركهم كتابهم وراء ظهورهم، وحقدهم على المخالفين لهم... وموافقة بعض النصارى لهم بالإشراك بالله وبالجهل والحقد على المسلمين.

ثمَّ حاضرُ المسلمين وقت بعثة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم والحديث عن القبلة وتحويلها إلى الكعبة المُعظّمة، والأمر باتّباع الصراط المستقيم، وكيفيَّة مجادلة الناس من مؤمنين وأهل كتاب، ثُمَّ الحديث عن شعيرة الصفا والمروة[1].

من الآية 163-177: الدعوة إلى توحيد الخالق وعبادته وطاعته في أوامره والانتهاء عمَّا نهى[2].

من الآية 178-283: عرض شرائع الدين الإسلامي إجمالًا وتفصيلًا لبعض هذه الشرائع.

- الحديث عن البر وأعمال البر وخصاله، مع أهمية الصبر في البأساء والضراء وحين البأس[3].
- ثُمَّ الحديث عن عبادة الصوم وفرضيتها.
- ثمَّ عم تحريم أكل أموال الناس بالباطل.
- ثمَّ عن الأهلة التي هي مواقيت للناس ولهعبادة الحج في أيام معلومات.
- ثمَّ عن الجهاد في سبيل الله ومقاتلة المشركين.

---

(1) ينظر: المرجع السَّابق، ص231.

(2) ينظر: المرجع السَّابق، ص240.

(3) ينظر: المرجع السَّابق، ص245.

- ثمَّ الحديث عن التقوى والدوعة إلى الإخلاص وإلى الدخول في السلم وعدم اتباع خطوات الشيطان[1].

- الحديث عن الأشهر الحرم وتحريم القتال فيهن.

- الحديث عن الوفاء بالعهد وعدم الخيانة[2].

- الحديث عن اليتامى والإحسان إليهم.

- ثمَّ عن العلاقة الزوجية وما يحرم فيها ويحل.

- ثمَّ عن حل رباط الزوجية بالطلاق وأحكام الطلاق.

- ثمَّ عن الرضاع والنفقة وعدة المرأة المتوفى عنها زوجها[3].

- ثمَّ ينتقل البيان الإلهي للحديث عن أهمية الصلاة والدعوة إلى المحافظة على الصلوات الخمس، مع إيتاء الزكاة التي لا تنفك عن إقامة الصلاة[4].

- ثمَّ عن ابتلاءات الله للمؤمنين.

- ثمَّ يعود الحديث إلى التوحيد والإيمان وذكر صفات الله عز وجل[5]. وتأكيد هذا بقصة ابراهيم عليه السلام وحواره مع الذي كفر ثم حواره عليه السلام مع ربه في كيفية الخلق.

- الحثَّ على النفقة والصدقة والحصول على أجرها العظيم.

---

(1) ينظر: دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**، ص246.

(2) ينظر: المرجع السَّابق، ص247.

(3) ينظر: المرجع السَّابق، ص249.

(4) ينظر: المرجع السَّابق، ص250.

(5) ينظر: دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**، ص258.

الآية 184: الوازع الدّيني الذي يبعث على التمسك بهذه الشرائع التي مرَّت[1].

ثمَّ تأتي خاتمة السورة التي فيها الوعد من الله عز وجل فيدعون ربهم ويتضرعون إليه فتحًا لباب الأمل: ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة: 286][2].

وبعد هذا الاختصار الذي يُعْوِزُه التفصيل الكثير نقول: مهما قلنا في مفاصل هذه السورة وأحداثها ومقاطع جزئياتها فلن نحيط بما رامه الله عز وجل منا فيها ولا بجزء منه، ولعمري لئن كتبت القليل فكم من الكثير بقي، وحُقَّ لهذه السورة أن يسميها المصطفى صلى الله عليه وسلم الزهراء وسنام القرآن وفسطاط القرآن، لما فيها من أمور الدين كله: عقيدة وأخلاقًا وعبادةً ومعاملات... ومافيها من قصص تعدُّ النماذج التي يعجز المصورون مجتمعين عن رسمها أو تصويرها أو تمثيلها.

هناك الكثير من العلماء كتبوا في أحداث ومضامين السورة إلا أنَّهم يجتمعون حول النصوص القرآنيَّة منها، فالحدث لا يتجزَّأ بينما البلاغة تكمن في وصفه، ووصفه لا يحيط بجزء ممَّا قاله الله عز وجلّ..

ونكتفي بما كتبناه ليكون نبراسًا وإضاءةً للطريق الذي سنسير فيه،لمعرفة الترجيح وطرق الترجيح التي اتّبعها الشيخ الإمام العُليمي وقد لا نحيط بكلّها، فنكتفي بالقلادة بما يحيط العنق.

---

[1] ينظر: المرجع السَّابق، ص261.

[2] المرجع السَّابق، ص263.

المبحث الثَّاني: أنواع الترجيحات عند العُليمي

تحدّثنا نهاية الفصل الثَّاني عن منهج الشيخ العُليمي في تفسيره، إذ اعتمد في تفسيره على أقوال علماء التفسير الأفذاذ المشهورين مع الإشارة إلى مصادر تفسيره، فكان هذا التفسير واضحًا سهل العبارة بيّن الإشارة، ثُمَّ أوضحنا أنَّ الشيخ العليمي كان أشدّ عناية بالقراءات واختلافها التي وردت في الآيات وألفاظها، وهذا يترتّب عليه أحكام كثيرة.

وإنَّ الشيخ لا يتعرَّض كثيرًا للأحكام الفقهيَّة المذهبيَّة واختلافها جرَّاء اختلاف القراءة وأنواعها؛ إلَّا أنَّه في مسائل العقيدة كان يمرُّ عليها بقليل عناية، مع أنَّه يميل إلى آراء السادة الحنابلة في أمور العقيدة والمسائل الخلافيَّة، سيما وأنَّه ذو مذهب حنبليّ.

المطلب الأوَّل: صيغ الترجيح التي استخدمها العليميّ

والمراد بها ما قَاله من ألفاظ أو عبارات تدلُّ على ترجيحه لقول أو لمذهب أو لرأي، وقد بيَّنَ ترجيحه بصيغٍ لفظيَّة دالَّة، نحو قوله: (الأصح-هي الأرجح- هو الأوجه في القياس- هي اللغة الفصيحة- هي أجزل اللغتين...). ومن أمثلته:

◉ عند قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [البقرة: 102]، فقال «أي: ويعلِّمون الذي أُنزل على الملكين؛ أي: أُلهما وعُلِّما،

والأصحُّ ممَّا قيل في ذلك: أن الله سبحانه امتحنَ الناس بالملَكَين في ذلك الوقت، فالشقيُّ بِتَعَلُّمِه فيكفرُ، والسعيد بِتَرْكِهِ فيبقى على الإيمان»[1].

◉عند قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [البقرة: 34]:«هذا الخطاب مع الملائكة على الصحيح، **والأصحُّ** أن السجودَ كانَ لآدمَ على الحقيقة، وتضمَّنَ معنى الطاعة لله تعالى بامتثالِ أمرِه، وكانَ ذلكَ سجودَ تعظيم وتحيَّة، لا سجود عبادة، ولم يكن فيه وضعُ الوجهِ على الأرض، إنَّما كان الانحناء»[2].

◉ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾وعند قوله تعالى: [النساء: 1]، والأرحام: القربات، قراءة العامَّة بالنصب، أي واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها، وقرأ حمزة بالخفض، أي به وبالأرحام، والأولى **أفصح**[3].

◉ وعند قوله تعالى: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [آل عمران: 180]، الكلام هنا بالغيب ثُمَّ صار بالمخاطب على الالتفات وهو **أبلغ** في الوعيد[4].

---

(1) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 164/1.

(2) مجير الدين، العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 84/1.

(3) النحاس، **إعراب القرآن**، 390/1، وابن الجزري (ت838هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: محمَّد الضبَّاع، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2009م، 217/2.

(4) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 65/2.

◉ وعند قوله تعالى: سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [البقرة: 142]، (يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم): قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ورُوَيْس (يشاء إلى) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، واختلف في كيفية تسهيلها، فذهب جمهور المتقدمين إلى أنها تبدل واوًا خالصة مكسورة وذهب بعضهم إلى أنها تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء **(وهو الأوجه في القياس)**[1]، وقرأ الباقون (وهم الكوفيون) وابن عامر، وروح بتحقيق الهمزتين[2].

◉ومثل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}. [البقرة: 246]، قال: «هل عسيتم استفهام شكٍّ، يقول: لعلكم. قرأ نافعٌ: (عَسِيتُمْ) بكسر السين؛ كخشيتم، والباقون: بالفتح كـ"رُميتُم"[3]، **(وهي اللغة الفصيحة)**»[4].

وقد كانت عناية العليمي واضحةً بترجيحات القراءات القرآنيَّة وأنواعها، وبالتالي فقد كانت له صيغ لفظية يدلُّ فيها على ترجيحه لقراءة على قراءة، فهو يعتني عناية فائقة بالقراءة المتواترة، دون أن ينتقص من غيرها أو من صاحبها، وإن المتبع لترجيحات العليمي في تفسيره يجده يدافع عن ترجيحه لقراءة على قراءة مستخدمًا صيغًا تدلُّ على هذا الترجيح.

---

(1) المرجع السَّابق، 212/1.

(2) ينظر: **معجم القراءات القرآنية** (مع مقدمة في القراءات وأشهر القرَّاء)، أحمد مختار عمر– عبد العال سالم مكرّم، جامعة الكويت، منظمة الحج والأوقاف والشؤون الخيريَّة، ط1/1991م، 122/1.

(3) ينظر: **معجم القراءات القرآنية**، 190/1؛النحاس، **إعراب القرآن**، 227/1؛ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، 230/1.

(4) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 351/1.

المطلب الثَّاني: أنواع الترجيحات عند الشيخ العليمي (وجوهها)

والمقصود بها ما استعمله المرجِّح المفسر من قواعد وأدلة ترجح بين الأقوال المختلفة، وقد اعتمد العليمي – حسب ما رأينا– على أنواع ستة:

أولًا: الترجيح باعتماد النظائر القرآنيَّة

أسلفنا القول حين الكلام عن التفسير أنَّ تفسير القرآن بالقرآن هو في المقام الأوَّل بين التفاسير، بل وأجلَّها وأشرفها، فهو الذي يبين الرّاجح ويبين العموم والخصوص والإطلاق والتقييد ويعرِّف الناسخ والمنسوخ، وكثير من المسائل التي يفصِّلها القرآن الكريم[1]، لذلك يعدُّ آي القرآن مفسرًا لبعضه، وهو الأولى في التفسير[2].

من أجل هذا كان هذا النوع من التفسير يستفاد منه الترجيح، أي ترجيح القرآن بالقرآن، يستدلُّ به علماء التفسير عند حدوث الاختلاف حول مسألة ما عقيدية أو فقهية أو أخلاقية، وذلك بأن يكون أحد الأدلة التي معه فيرجح ما يراه الأنسب لأجل موافقته آية أو آيات في كتاب الله عز وجل[3].

◉مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]، (إلا إبليس): «وكان اسمُه عزازيل بالسريانيَّة، وبالعربيَّة: الحارث، فلمَّا عصى، غُيِّر اسمه وصورتُه، فقيل: إبليسُ؛ لأنَّه أبلسَ؛ أي: يئس من رحمة الله، والأصحُّ أنَّه كانَ من الملائكة لا من الجنِّ، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﷺ

---

[1] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 315/2؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 467/3.

[2] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 118/1.

[3] ينظر: الحربي، **قواعد الترجيح**، 312/1.

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50]؛ أي: من الملائكةِ الذين هم خَزَنة الجنَّة»[1].

◉مثال آخر، قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 106]، «فالنَّسخُ هو الرفع، وقرأ عامر (نُنسخ) من الإنساخ، أي نجعله من المنسوخ وذلك أن المشركين قالوا: إن محمدًا يأمرُ أصحابَه بأمرٍ، ثم ينهاهم عنه ويأمرُهم بخلافه، ما يقولُه إلا من تلقاء نفسه، يقول لهم اليومَ قولًا، ويرجعُ عنه غدًا كما أخبر الله تعالى بقوله: وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [النحل: 101]، فأنزل الله: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 106]، فبيَّنَ وجهَ الحكمةِ في النسخ بهذهِ الآية»[2]، فكانت الحكمة مبنيَّة للناس في قوله: مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 106]؛ أي بما هو أنفعُ لكم وأسهل عليكم أو أكثر لأجركم، لا أنَّ آية خير من آية، لأنَّ كلام الله واحدٌ كلّه خير[3].

---

(1) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 84/1.

(2) العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 172/1.

(3) ينظر: المرجع السَّابق، 177/1-178.

ثانيًا: الترجيح باعتماد القراءات

القراءات القرآنيَّة هي مذاهب للناقلين لكتاب الله وآياته، وفي كيفيَّة أداء الكلمات القرآنيَّة[1]، وقد عرّفها ابن الجزري بـ«علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزوًّا لناقله»[2]، وعرّفها أبو حيان الأندلسي بأنَّها«علمٌ يبحث فيه عن كيفيَّة النطق بألفاظ القرآن»[3].

وأمَّا ترجيحات القراءات فهي اختلاف الحروف في كيفية نطقها، يقول الزركشي: «وترجيحات القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما»[4].

ويقول النحَّاس: «إن قرئ الحرف على وجوه فهو بمنزلة آيات، كلٌّ واحد يفيد معنًى»[5]، وأهم القراءات القرآنيَّة:

1- المتواترة:

وردت تعريفات كثيرة لها، نكتفي بما يفيدنا من واحدة منها، «أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله، كذلك حتى تنتهي، وتكون مما عرف واشتهر عند أئمة الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ به بعضهم»[6]، ثُمّ يعلق الحربي على هذا التعريف فيرى أنه إذا تواترت القراءة فلا يحتاج إلى الركنين الأخيرين، ويغني التواتر عنهما، وإن كانت دون التواتر فمع الركنين الأخيرين تثبت القراءة[7].

---

(1) ينظر: **معجم القراءات القرآنية**، 120/1.

(2) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ص225.

(3) الأندلسي، أبي حيان، **البحر المحيط**، 26/1.

(4) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 318/1.

(5) النحاس، **إعراب القرآن**، 119/4.

(6) ابن الجزري، **النشر**، 31/1.

(7) الحربي، حسين، **قواعد الترجيح**، 90/1.

2- الشاذّة:

وهي «كل قراءة اختل فيها ركن من أركان القراءة الصحيحة»[1]، وقد جاء الحربي بمثال يوضح مفهوم هذه القراءة: ففي قوله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ [الرعد: 43]، ذكر الإمام الطّبري هذه القراءة أنَّها متواترة، ومعناها عنده: أي الذي عنده علم الكتاب أي الكتب التي نزلت قبل القرآن كالإنجيل والتوراة، ثُمّ ذكر القراءة الشاذّة فقال:{ومِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ}، قراءة ابن عباس ومجاهد بن الحسن وسعيد بن جبير، وهي بمعنى: مِن عنده عُلِمَ الكتاب، ورجح الطبري القراءة الأولى وقال: هي أولى بالصواب[2].

ومن أمثلة هذا النوع:

◉ قال تعالى: : {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ} [البقرة: 119]، (ولا تسأل): قرأ نافع ويعقوب (ولا تَسأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام على النهي، قال ابن عباس: وذلك أنَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال ذات يوم (ليت شعري مافعل أبواي)، فنزلت[3]، وقرأ الباقون (ولا تُسْأَلُ) بالرفع على النفي، أي: ولستَ بمسؤول[4].

فنرى هنا أنَّ الشيخ العليمي رجَّح قراءة الجمهور مؤيِّدًا ترجيحه بقول الصحابي ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذا -كما قلنا- لا يعني الانتقاص من القراءة الثانية إلَّا أنَّها شاذة عن المعنى الذي أخذه، وواضح أنَّ هذا الترجيح للقراءة تُؤخذ منه أحكام كثيرة.

---

(1) ابن الجزري، **النشر**، 14/1، والزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 221/1.

(2) الحربي، **قواعد الترجيح**، 105/1.

(3) الواحدي، **أسباب النزول**، ص20.

(4) النحاس، **إعراب القرآن**، 209/1؛ **تفسير البغوي**، 98/1-99؛ ابن الجزري، **النشر**، 222/2؛ **معجم القراءات**، 107/1؛ العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 185/1.

◉ قوله تعالى: فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [البقرة: 182]، (من موصٍ): «قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (مُوَصٍّ) بفتح الواو وتشديد الصاد؛ لقوله تعالى: ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ [الشورى: 13]، وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [الأحقاف: 15]، وقرأ الباقون: بسكون الواو وتخفيف الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇئۆ﴾[النساء: 11]، جَنَفًا أي: عُدولًا عن الحقِّ»[1]، فهنا يرجّح العليمي قول الجمهور بقوله –الباقون– بأنَّها بتسكين الواو وتخفيف الصاد، لأنَّه حين فسّر قوله تعالى بعدها (فأصلح بينهم) قال: «أي بين الموصى لهم»[2]، فلو كان ترجيحه للتشديد لقال الموصَّى.

◉ قوله تعالى: أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }. [البقرة: 184]، «قرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان عن ابن عامر (فدْيةُ طعامِ مساكين) أي بإضافة طعامِ وبجمع مساكين، فمَن جَمَعَ نصبَ النون، ومن وحَّد خفضَ النُّون ونوَّنها[3]، وهي حقّ من كان يطيق في حال الشباب

---

(1) النحاس، **إعراب القرآن**، 234/1؛ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، 226/2؛ **معجم القراءات القرآنيَّة**، 140/1.

(2) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 253/1.

(3) النحاس، **إعراب القرآن**، 236/1؛ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، 226/2؛ **معجم القراءات**، 142/1.

ثُمّ عجز لكبره فله أن يفتدي عند الثلاثة، وعند مالك يفطر ولا فدية عليه لكن تستحب»[1].فهنا يرجّح الشيخ قول الجمهور القائلين بقراءة الإفراد فديةُ طعامُ مسكينِ.

◉قال تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 259]، «قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن عامر (نُنشِزُها) بالزاي المعجمة، أي: نرفعها من الأرض ونردها إلى مكانها في الجسد، يقال: نشزته فنشز، أي رفعته فارتفع، والباقون بالراء المهملة، معناه: نحييها، قال تعالى: { ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ } [عبس: 22]»[2].

ثالثًا: الترجيح باعتماد السنة النبوية

تعدُّ السنة النبوية (القولية أو الفعلية أو التقريرية) المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فهي تفصل مجمله وتطلق مقيده وتشرح ما استغلق من ألفاظ قرآنية أو عبارات، وقد اعتمد المفسرون على السنة النبوية في تفاسيرهم، حين لا يجدون آيًا يفسرون بها القول القرآني، وقد انعقد الإجماع على مكانة السنة النبوية وحجيتها، فضلًا عن أن القرآن الكريم قد أقرها قبل الإجماع: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ

---

(1) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 254/1-255.

(2) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**،231/2؛ **معجم القراءات القرآنية**، 200/1؛ تفسير البغوي، 278/1؛ العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 373/1.

الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وإنَّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أعلم بتفسير القرآن وبمعانيه التي أوحاها الله عز وجل إليه، «فإذا ثبت عنه قول فلا قول لأحد مع قوله، فربنا تعالى هو المنزل، ونبيّنا عليه الصلاة والسلام هو المبيّن»[1].

وقد كانت السنَّةُ عند الشيخ العليمي المرجع الثَّاني في تفسير القرآن الكريم، فنجده يفسّر بها ما أَشْكَلَ أو أُجْمِلَ بما ورد عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وأمثلته كثيرة، نأخذ منها:

◉قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]، قال الشيخ: «وكان إسماعيل عمًّا لهم، والعرب تسمّي العمّ أبًا، كما تسمي الخالة أمًّا، قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (عمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه)[2]»[3]، فهنا رجح الشيخ المقصود بإسماعيل اعتمادًا على حديث نبويّ.

◉قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]، اختلف العلماء في الصلاة الوسطى، فالجمهور على أنَّها صلاة العصر، يقول الشيخ العليمي: «خُصّت بالذكر لفضلها، وهي العصر عند أبي حنيفة وأحمد؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال يوم الخندق: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقلوبهم وقبورهم نارًا)[4]؛ ولأنَّها بين صلاتي

---

(1) الحربي، حسين، **قواعد الترجيح**، 195/1.

(2) **سنن الترمذي**، كتاب المناقب، باب مناقب العبَّاس، رقم الحديث: (3758)،611/5. والحديث برواية أبي هريرة.

(3) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 204/1.

(4) **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم الحديث: 2773.

نهار وصلاتي ليل، وقد خصها النبي صلى الله عليه وسلم بالتغليظ، وعند مالك والشافعي هي صلاة الفجر؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿پ پ پ﴾[البقرة: 238]، والقنوت: طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام، وبالقنوت؛ ولأنَّها بين صلاتي جمع، وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها»[1].

ولأنَّ الشيخ حنبليُّ المذهب فقد مال إلى رأي الحنابلة، فأكّد بقوله: وهي العصر، فكان ترجيحه لها، مع ذكر رأي غيرهم دون انتقاص له، وكان اعتماد ترجيحه الحديث النبوي يوم الخندق.

◉وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]، وهي أعظمُ آية في كتاب الله عزّ وجلّ، وقد ورد عن أُبَيّ بن كعب أنَّه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم:(يا أبا المنذر أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟، قال قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال يا أبا المنذر: أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟، قال قلتُ: "الله لا إله إلَّا هو الحيُّ القيُّوم"، قال: فضربَ في صدري، وقال: والله ليَهْنَكَ العلمُ أبا المُنذر)[2].

(وسع كرسيه): «والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، قال أبو ذرٍّ الغفاريّ رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: (ما الكرسي في

---

[1] العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 342/1-343.

[2] **صحيح مسلم**،كتاب: صلاة المُسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث: 810، 556/1.

العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض)[1]، ومعنى قوله: (وسع كرسيه السماوات والأرض) أي: سعة مثل سعة السموات والأرض في العِظَم»[2].

◉وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260]، (أولم تؤمن): مع علمه بإيمانه ليظهر إيمانه لكل سامع.(قال بلى): يا رب قد علمت فآمنت.(ولكن ليطمئن): أيليسكن.(قلبي): ويصير علم اليقين بالاستدلال عين اليقين بالمشاهدة، «وتلخيصه: آمنت وأريد مشاهدة ذلك لإيمان غيري، وفي معنى قوله: (ولكن ليطمئن قلبي) من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: ليس المخبر كالمعاين، وقد روي الحديث الشريف: (ليس الخبر كالمعاينة)[3] رواه الإمام أحمد وغيره»[4].

ويظهر من اعتماد الشيخ العليمي على الحديث النبويّ في تفسير الأمر أنَّه رجّح الرواية العينية المشاهدة حتى يؤكد يقينه وإيمانه إبراهيم عليه السلام[5].

---

(1) **رواه البيهقيّ** في الأسماء والصفات، رقم الحديث (831)، 404/2.

(2)العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 364/1-365.

(3)مسند أحمد برقم 1842، والحديث تمامه: (ليس الخبر كالمعاينة، قال الله لموسى: إن قومك صنعوا كذا وكذا فلمَّا عاين ألقيت الألواح...) الراوي: عبد الله بن عباس عند ابن حبان برقم 6213.

(4)العليمي، مجير الدين، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 375/1.

(5)العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 364/1-365.

رابعًا: الترجيح باعتماد ظاهر اللفظ القرآني

إنَّ الأصل في اللفظ أن يُحمل على ظاهره، وتفسر معاني الألفاظ أو التراكيب القرآنية حسب ما يقتضيه ظاهرها، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يُوجِبُ الرجوع إليه، فإن أراد المتكلم يظهر في ألفاظه، أمَّا إن كان المفسّر يلجأ إلى تفسير الكلام بغير ظاهره فكلامه مردود عليه[1].

والظاهر في اللفظ هو ما انكشف منه وبرز «فالظهور بدوّ الشيء الخفي»[2]، والظاهر اصطلاحًا: ما دلَّ على معنى، واحتمل غيره احتمالًا مرجوحًا[3].

فمثلًا: يقول الله عز وجل: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف: 50]، الظاهر من هذا اللفظ أنَّ إبليس ليس من الملائكة وإنَّما هو من الجن، وأورد الزمخشريّ أنَّ إبليس كان من الجنّ وأنَّه كان جنيًّا واحدًا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورًا بهم واستدلَّ بقوله تعالى: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ [الكهف: 50][4].

---

(1) الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، 137/1.

(2) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة ظهر، 471/3، وابن منظور، **لسان العرب**، 523/4.

(3) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 234/2، والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 95/3.

(4) ينظر: الزمخشري، **الكشَّاف**، 254/1.

وقد رجَّح الشيخ العليمي أنَّ إبليس كان من الملائكة لا من الجن، «قال ابن عباس: (كان من حيٍّ من الملائكة يقال لهم الجن، خُلقوا من نار السموم) فهو من الملائكة لا من الجن على الأصح[1]، ثُمَّ أورد بعض الأدلَّة لكلامه، ثُمَّ قال: «وقيل: كان من الجنّ حقيقة، لأنَّ له ذريَّة والملائكة لا ذرية لهم»[2].

◉قال تعالى: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ [البقرة: 49]، (أبناءكم): ورد عند القرطبي في تفسيره أنَّ المقصود بالأبناء الأطفال دون الكبار «فكان فرعون يذبّح الأطفال ويبقي البنات، وهو الأصحّ لأنَّه الأظهر والله أعلم»[3]، وكذلك عند الشيخ العليمي «أمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل، ووكّل بالقوابل، فكنَّ يفعلن ذلك، وقد قيل: إنَّه قتل في طلب موسى اثني عشر ألف صبيّ»[4].

◉قوله تعالى: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ [البقرة: 94]، «(فتمنّوا الموت): أي اطلبوا واسألوا، لأنَّ من علم أنَّ الجنَّة مأواه حنَّ إليها ولا سبيل إلى دخولها إلَّا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمنّي»[5].

وأمَّا قوله تعالى للكافرين (إنْ كنتم صادقين): فهو تأكيد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه لن يكونوا صادقين لأنَّهم «لو تمنوا الموت لغصّ كلّ إنسانٍ منهم بريقه، وما بقي على وجه الأرض يهوديّ إلا مات»[1]، قال الله تعالى: وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [البقرة: 95][2].

---

(1) العليمي، **فتح الرحمن في تفسيرالقرآن**، 185/4.

(2) العليمي، **فتح الرحمن في تفسيرالقرآن**، 186/4.

(3) القرطبي، **أحكام القرآن**، 364/1.

(4) العليمي، **فتح الرحمن في تفسيرالقرآن**، 98/1.

(5) العليمي، **فتح الرحمن في تفسيرالقرآن**، 154/1.

◉وفي قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.. [البقرة: 249]؛ (إلَّا من اغترف غرفة بيده): كان هذا ابتلاء لقوم طالوت حين قال الله لهم إن الله مبتليكم بنهر فلا تشربوا منه مباشرة إلا أن من أخذ غرفة بيده فلا ضير عليه، فلقظ غرفة هنا أي «أخذ غرفة بيده فشرب فإنه مني، والغرفة من الاغتراف غرفة واحدة»[3] فالظاهر من الكلمة الاغتراف من الماء باليد أي بقدر ما يحمل الكف «الغرفة مباحة لكم دون الشرب منها، وكانت الغرفة تكفي الرجل لشربه ودوابه»[4]، فالظاهر من الكلمة ما اغترف من الماء.. وهذا ما رجَّحه المُفسِّرون.

خامسًا: الترجيح باعتماد النسخ في القرآن الكريم

حين يتنازع المفسّرون في تفسير آية من كتاب الله لاختلافهم في نسخها وعدمه، فهناك من يقول نسخت ويأتي بأدلته وفريق آخر لا يوافقون الأول ويرفضون نسخها ويأتون على قولهم بأدلة، أما إذا ثبت التصريح بالنسخ أو انتفى حكم الآية من كل وجه وامتنع الجمع بينها وبين ناسخها فهو الأرجح[5].

فالنسخُ لغةً: «الإزالة والنقل وهو أيضًا رفع شيء وإثبات غيره مكانه»[6].

والنسخ شرعًا: «أن يرد دليلٌ شرعيٌّ متراخيًا عن دليل شرعيّ، مقتضيًا خلاف حكمه»[7].

---

(1) رواه الطبري في تفسيره، 425/1.

(2) العليمي، **فتح الرحمن في تفسيرالقرآن**، 154/1.

(3) الطبري، **جامع البيان**، 837/2.

(4) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 356/1.

(5) الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، 72/1.

(6) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة نسخ، 424/5.

(7) الجرجاني، **التعريفات**، ص240.

وقد نوَّه الشيخ العليمي إلى النسخ في تفسيرهوجعله مرجحًا لما يفسره فكان يذكر الناسخ والمنسوخ وكان يؤكد هذا بألفاظه الصريحة أو الكنائية.

◉ نحو قوله تعالى: { أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }. [البقرة: 184]؛ هذه آية الصيام التي جاءت بعد الآية التي فرضت الصيام وأوجبته على المسلمين لمدّة شهر رمضان كاملًا «وقد كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر واجبًا، وصوم عاشوراء، فنسخ بصيام رمضان، وأول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم»[1].

وواضح أن هذه الآية منسوخة بالآية التي بعدها: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]، وقد ورد في الحديث أنَّ سلمة بن الأكوع قال: «لمّا نزلت هذه الآية (فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ) كان من شاء منَّا صام، ومن شاء أن يفتدي فعل، حتَّى نسختها الآية التي بعدها»[2]، وهذا حديثٌ صحيح، «وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه»[3]، فالعليمي رجّح نسخ هذه الآية، وهو ما عليه الجمهور.

---

(1) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 253/1

(2) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: ومن كان مريضًا أو على سفر، رقم الحديث:(4507)، 25/6.

(3) الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، 206/1.

◉ويقول الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ [البقرة: 219]، وهذه الآية كانت من مراحل تحريم الخمر التي كانت على فترات ولمقاصد شرعية وقد نزلت الآية الناسخة في سورة المائدة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: 90]، يقول الشيخ العليمي: «كانت الخمر حلالًا إجماعًا، وكان المسلمون يشربونها، فجاء معاذ ابن جبل وعمر بن الخطاب بجماعة، فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر، فإنها مذهبة للعقل، مسلبة للمال، وروي أنه سئل عن الخمر والميسر معًا فنزلت الآية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ [البقرة: 219]»[1].

وبعد أن شرح بعض الألفاظ وصل إلى القول: «ثُمَّ دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة، فسكروا، فأمهم بعضهم في المغرب، فقرأ: (قل يا أيّها الكافرون. أعبد ما تعبدون)، بحذف (لا) فنزل قوله تعالى: وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا [النساء: 43]، فتركوها في حال السكر.

ثُمَّ دعا عتبان بن مالك جماعة، فشربوا الخمر، فأنشد سعد بن أبي وقاص قصيدة فيها هجاء الأنصار، فضرب بعض الأنصار رأس سعد بلحي جمل، فشجه، فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: (اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: 90]، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

[1] العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 307/1، والواحدي، **أسباب النزول**، ص26.

فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 91]، فقال عمر: انتهينا، فحرمت الخمر، وأريقت»[1].

فكان الشيخ العليمي–رحمه الله– مرجحًا نسخ آية سورة المائدة للآيات التي سبقتها وإقرار تحريم الخمر وجعله رجسًا من عمل الشيطان.

◉ وقال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ [البقرة: 219]، وهذا الحكم هنا أيضًا نسخ مع حكم الخمر الذي كان في صدر الآية نفسها، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة، إذ قالوا: ماذا ننفق؟ فكان الجواب (قل العفو)، أي ما فضل عن الحاجة[2]، ثُمَّ قال العليمي: «معناه: الذي تنفقون هو العفو، ثم نسخ بآية الزكاة، ثم خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد: الأمة، فقال: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ [البقرة: 219]»[3].

وكذلك نجد عند الشيخ العليميّ أمثلة كثيرة عن هذا النوع من المرجحات.

---

(1) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 308/1، و**تفسير البغوي**، 207/1.

(2) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 339/1.

(3) المرجع السَّابق، 340/1.

سادسًا: الترجيح باعتماد أسباب نزول الآية

تعدُّ أسباب نزول الآيات أو السور أهم سبب يرجح ما وافق وجه تفسير الآيات وألفاظها[1]، فقد كانت الجملة الشهيرة (إذا عرف السبب بطل العجب) لها نصيب من المعنى، فمن عرف سبب ورود كلام ما عرف معناه ومقاصده.

كذلك أسباب نزول الآية أو الآيات يعين في فهم الآية على الوجه الصحيح[2]، وحين يتنازع المفسرون ويختلفون في تفسير آية من القرآن حيث تتعدد أقوالهم فيها فأصح الأقوال ما يوافق سبب نزول الآية.

والسبب –كما أسلفنا سابقًا– هو كلّ ما يتوصّل به إلى غيره[3]، لذا فإنَّ معرفة السبب جزء من معرفة المعنى «وأحيانًا قد يتوقف فهم بعض معاني آيات القرآن على سبب النزول، وقد قرر العلماء أن القول المؤيد بسبب النزول مقدم على ماليس كذلك»[4].

نأخذ بعض الأمثلة التي ذكر الكثير منها الشيخ العليمي رحمه الله:

◉قال تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}. [البقرة: 130]، (ومن يرغب عن ملة إبراهيم): «وذلك أنَّ عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرًا إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتما أن الله عزّ وجلّ قال في التوراة: إنّي باعث من ولد إسماعيل نبيًا اسمه أحمد، فمن آمن به فقد اهتدى، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة، وأبى مهاجر

---

(1) ينظر: **قواعد الترجيح عند المفسرين**، 225/1.

(2) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 22/1، والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 83/1.

(3) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة سبب، 458/1.

(4) **قواعد الترجيح**، 225/1.

أن يسلم، فأنزل الله تعالى: (ومن يرغب عن ملّة إبراهيم)[1]، أييترك دينه وشريعته، يقال: رغب في الشيء: إذا أراده، ورغب عنه: إذا تركه، والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم، (إلَّا من سفه نفسه)؛ أي خسر نفسه»[2].

◉ وقال الله تعالى بعد الأمر بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرّفة: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143) [البقرة: 143]، اختلف المُفسِّرون بمعنى الإيمان في قوله (إيمانكم)، فهناك من فسّر بظاهره؛ أي الإيمان المعروف الذي هو ضدّ الكفر، ومنهم من فسّره بالصلاة إذ إنَّ المسلمين كانوا يصلون في الفترة السابقة إلى بيت المقدس، وقد رجّح جلّ المفسّرين المعنى الثاني: الصلاة، أي ما كان الله ليضيع صلواتكم التي كنتم تؤدونها باتجاه بيت المقدس، كذلك كان عند الطبري والقرطبي وابن كثير[3].

أمَّا الشيخ العليمي فقد أكد هذا المعنى –الصلاة– وجاء بأدلّة تعضد ما ذهب إليه: «إنَّ حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هدى، فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة، فقد دنتم الله بها، ومن مات منكم عليها، فقد مات على ضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا، وكان قد مات قبل أن تحول القبلة من المسلمين أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانوا من النقباء، ورجال آخرون، فانطلق عشائرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا رسول

---

(1) **تفسير البغوي**، 108/1.

(2) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 200/1–201.

(3) ينظر: **تفسير الطبري**، 263/2، **والقرطبي**، 162/2، **ابن كثير**، 115/2.

الله! قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله عز وجل: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143) البقرة: 143][1]، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، وقد سمّى الصلاة إيمانًا لما كانت صادرة عن الإيمان والتصديق في وقت بيت المقدس، وفي وقت التحويل»[2].

◉ وفي قوله تعالى حين خاطب أرواح الأولياء: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [البقرة: 232]؛ «(وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ)؛ أي انقضت عدتهن، نزلت في جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزني، كانت تحت أبي البراح عاصم بن عدي بن عجلان، فطلقها، فلما انقضت عدتها، جاء يخطبها، فقال له أخوها: زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها، ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعود إليك أبدًا، وكان رجلًا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله تعالى: (فلا تعضلوهن)[3]، أصل العضل: المنع والشدة، المعنى: لا تمنعوهن من (أن ينكحن أزواجهن) الذين يرغبن فيهم، ويصلحون لهن»[4].

اوهناك الأمثلة الكثيرة التي أوضحت فرد الله من الألفاظ القرآنية.

---

[1] **تفسير البغوي**، 116/1.

[2] العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 215/1.

[3] **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: ولا تَعْضُلُوهُنَّ، والحديث رُوِيَ عن الحسن بن علي، رقم الحديث:(4529)، 29/6.

[4] العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 330/1.

سابعًا: الترجيح باعتماد اللغة العربية ومعاني الألفاظ

يتّضح من تفسير الشيخ العليمي وترجيحاته أنه يعتني عناية فائقة في ترجيحاته باللغة العربية التي هي لسان القرآن، وقد وجدت أن أكثر الترجيحات عنده تكون من خلال القراءات ثم من خلال المعاني اللغوية «فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائمًا»[1]، إذ القرآن نزل بأفصح لغات العرب، والأولى أخذ الأفصح من كلام العرب ومعانيهم في تفسير الكلمات دون الأخذ بما ينكر معناه وشذوذه، مع العناية بأخذ المعاني الحقيقية للألفاظ إلا إذا صرفه صارف إلى المجازي، وقد اهتم العليمي ببلاغة القرآن فتجده يؤكد على التقديم والتأخير وأسلوب الالتفات وأسلوب الحذف والاختصار والإيجاز، فالمحذوف مثلًا: «إذا دلت عليه دلالة فكان في حكم الملفوظ به»[2].

يقول ابن قتيبة: «إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ به لغاتها دون جميع اللغات»[3].

وهذا ما يجب على المفسر تحريه في تفسيره أن يوضح المعنى دون زيادة تذهب مرام الله عز وجل أو تنقصه أو لا تليق بالغرض[4].

---

(1) تفسير الطبري، **جامع البيان**، 19/1.

(2) ابن جنّي، **الخصائص**، 1585/4.

(3) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ص10.

(4) ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 488/2.

وعلى المفسّر أن يحمل كلام الله تعالى على ما هو معروف في كلام العرب لا على المعنى الشاذّ أو الضعيف أو المنكر[1]، والأمثلة كثيرة في هذا الباب، منها:

◉ قال الله تعالى عن المنافقين: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: 9]؛ (يخادعون الله) «أي يخالفون الله، أصل الخدع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع، فالمخادع هو الذي يظهر خلاف ما يضمر، والخدع من الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142]؛ أي يظهر لهم، ويعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة»[2].

وقوله (وما يخدعون): يقول الشيخ العليمي: «قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: (وما يخادعون) بالألف مع ضم الياء وفتح الخاء وكسر الدال على موافقة الكلمة الأولى، وقرأ الباقون: (وما يخدعون) بغير ألف مع فتح الياء والدال وإسكان الخاء[3].

(إلَّا أنفسهم) لأنّ خدعهم أنفسهم لا يعدوهم، وقال بعض أهل اللغة: يُقال: خادع؛ إذا لم يبلغ مراده، وخدع: إذا بلغ مراده، فلما لم ينفذ خداعهم فيما قصدوه كان مخادعة، فلما وقع ضرر فعلهم على أنفسهم، كان في

---

(1) ينظر: الحربي، **قواعد الترجيح**، 279،2.

(2) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 58/1.

(3) **تفسير البغوي**، 19/1، وابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، 207/5، **ومعجم القراءات القرآنية**، 25/1.

حق أنفسهم خداعًا، وتفسيره: فلا ينفد خداعهم فيمن قصدوه، فكأنهم خدعوا أنفسهم؛ كما يقال: فلان سخر بفلان، وما سخر إلا بنفسه، والنفس: ذات الشيء وحقيقته»[1].

فيفهم من قول الشيخ العليمي أنه يرجح كلمة (وما يخادعون إلا أنفسهم) لأن ضرر ذلك على أنفسهم ولم يؤثر على غيرهم، وقد عاد وبال ذلك على أنفسهم.

◉وقوله تعالى: [البقرة: 29]؛ وهذه من الآيات التي كَثُرَ الكلام فيها وفي مشابهاتها، إلَّا أنَّ الشيخ العُليمي الحنبلي المذهب يميل إلى رأي الإمام أحمد فيذكره في هذا ويأخذ برأيه، إذ قال بالمعنى اللغويّ ولم يشأ التأويل ولا إعمال السيما والدلالة، كذلك فعل في الآية: الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ [الأعراف: 54]، فيقول: «استواءٌ يليق بعظمته بلا كيف، وهذا من المشكل الذي يجب عند أهل السنة على الإنسان الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل، وسئل الإمام مالك رضي الله عنه عن الاستواء، فقال: (الاستواء معلوم؛ يعني في اللغة، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[2]. وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى [طه: 5]، فقال: هو كما أخبر، لا كما يخطر للبشر»[3].

والعرش في اللغة: السرير، وخص العرش بالذكر تشريفًا إذ هو أعظم المخلوقات[4].

فقد أعمل الإمام أحمد اللغة في تفسير الكلام، ولم يعمل غيرها، وأخذ بهذا الشيخ العليمي وقال به ورجّحه.

---

(1) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 59/1.

(2) **تفسير البغوي**، 109/2.

(3) **معجم القراءات القرآنيَّة**، 368/3.

(4) العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 77/1.

◉ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260]؛ (فصرهن): اختلفت القراءات في هذه الكلمة فاختلفت المعاني مع كل قراءة فالمعنى يتعلق بمعاني الألفاظ: «فصرهن أي قطعهن، قرأ أبو جعفر، وحمزة، وخلف، ورويس: (فصِرْهنَّ) بكسر الصاد؛ أي: أمِلْهن، والباقون: بضمها على المعنى الأول[1]، والمعنى: أملهن إليك واعتبرهن، ثُمَّ قطعهن، ثُمَّ اخلط لحمهن بعضه ببعض، ثُمَّ أمسك رؤوسهن، ثُمَّ جزئهن أجزاءً»[2]، فكان اختلاف القراءة مؤثرًا في اختلاف المعنى.

لقد كانت سورة البقرة من السور الطوال، بَيْدَ أنها من كرائم السور وكل السور كريمة، وهي تعدُّ السورة الزهراء في الفضل والعلم والأحكام الشرعيَّة الدينيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وهي السورة التي لا تكفيها المجلدات ولا تحصرها الكتب والمؤلفات لتعطي بعض ما فيها من أحكام وفضائل، ومن لغة وبلاغة ودروس في النحو والأساليب وكانت هي السورة التي تجول فيها أفانين اللغة وأفانين البلاغة لتكون دروسًا لا تنتهي عطاياها.

وهي السورة التي تزدحم فيها الصور التاريخيَّة وتتجلَّى فيها نتائج الأسباب التي نزلت فيها فصولها وأحداثها، وحُقَّ لها أن تدرس أسباب نزول الكثير من آياتها لأن العبر والأحكام الكثيرة التي تدور عليها أحكام السور التي تأتي بعدها.

---

[1] **تفسير البغوي**، 282/1.

[2] العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، 376/1.

وإن ما درسناه من أساليب وأنواع الترجيحات في السورة التي اعتنى بها الشيخ العليمي –رحمه الله– كان يستحق الإطالة والإسهاب وأخذ الأمثلة أكثر ممَّا أخذناه إلَّا أن المساحة الزمانيَّة والكتابيَّة لا تستوعب إلَّا الجزء اليسير، فنكتفي بما قدّمناه من أنواع ووجوه وبعض التمثيل ليصير لنا فصلًا من البحث يعرّفنا على ما اختصرنا به منه، ولا نغفل أن الأنواع التي أخذناها هي بعض الوجوه التي أعمل المفسرون بها ترجيحاتهم.

راجيًا المولى سبحانه أن أكون قد وُفِّقت.

الخاتمة والتوصيات:

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث، بتوفيقه وكرمه، وحَسْبي أنَّني حاولتُ الإضاءةَ على علمٍ قيّمٍ جليلٍ، يعتني به الكثير من العلماء ومُفسّري القرآن الكريم، هو علم الترجيح الذي يستحقُّ العنايةَ والاهتمام، بشرطِ الانضباط بقواعده الترجيحيَّة التي وضعها عُلماء التفسير.

وحقًا إنَّ بحر العلوم القرآنيَّة واسعٌ وعميقٌ، والغائص فيه يجد حلاوةَ وروعةَ الدرر التي تملأ آياته وسوره، ومن النتائج التي وصلتُ إليها:

1- إنَّ الشيخ العليمي –رحمه الله– واحدٌ من العلماء الذين أبحروا في علمٍ من علوم القرآن –وهو علم التفسير– بَيْدَ أنَّ إبحاره كان أقل من غَوْصِ غيره من العلماء الأفذاذ الذين بقروا بطون علوم القرآن وقراءاته وعلوم اللغة العربيَّة، إلَّا أنَّه –رحمه الله– كان واضح العنايةِ بالقرءات القرآنيَّة، ومرجّحًا لما يراه موافقًا للمعنى الذي يستنبطه، وكان حريصًا على تقديم الأقوال المؤيَّدَة بالآيات القرآنيَّة وترجيحها، فجعل القراءات القرآنيَّة المتواترة حُجّةً في الترجيح مع عدم الإنقاص من قدر العلوم الأخرى التي تتعلَّق باللغة والنحو والبلاغة وما وَجَدَهُ من آراء في المذاهب الإسلاميَّة مع تأثره بالمذهب الحنبلي وميله إليه.

2- يعدُّ الشيخ -رحمه الله- جامعًا لأساليب الاختصار وسهولة العبارة البيّنةِ المؤدّى والمعنى.

وكان يلتزم في مسائل العقيدة وتفسير الآيات أو العبارات التي تتعلَّق بها بما قاله الحنابلة منذُ أحمد بن حنبل -رحمه الله-، مع عدم إسهابه وإطالة شرحه.

3- إنَّ الشيخ العليميّ عالمٌ قديرٌ من علماء الحنابلةِ الأجلَّاء، وقد رأينا ترجيحاتِه جديرةً بالعناية؛ لأنَّها كانت فصلًا من فصول خدمة القرآن الكريم وعلومِه، وهو أيضًا عالمٌ غيرُ مُتعصبٍ للمذهب -وخاصةً في الأمور العَقَدِيَّة- مع أنَّنا قد نجده يتعصب لمسألةٍ فقهيَّةٍ ما.

4- كانت عنايةُ الشيخ في ترجيحاته بالقراءات العشر أكثرَ من غيرها، وقد بنى عليها ترجيحاتٍ كثيرةً لِمَا رآهُ في اختلاف هذه القراءات.

5- إنَّ الترجيح بين الأقوال أو القراءات يُنمّي عند الباحث اتساعًا في مدارِكِه ومَلَكاته التفسيريَّة، ويضبطُهُ بالنصوص الشرعيَّة وقواعدِ التفسير والترجيح، ما يجعلُهُ ذا قدرةٍ عاليةٍ على النظر أكثر في أيِّ نصّ وترجيح ما يراهُ صحيحًا.

وأوصي **بتوصيات:**

1- أن تتمَّ دراسة تفسير العليمي دراسةً مفصَّلة بالنسبة لآرائه وترجيحاته التي اعتمدها، مقارنةً مع غيرها من التفاسير التي تتميَّز بترجيحات أصحابها (عقيدةً وفقهًا ولغةً)، ولِما في هذه المقارنات من أهمّيةٍ في فهم مرادات الله في ألفاظِه القرآنيَّة.

2- إنَّ بحثَ الترجيحات (بكلِّ فنونها ووجوهها) يعدُّ بحثًا مهمًّا لكلِّ حاملِ زادٍ علميٍّ، يتعلّقُ بعلوم القرآن وتفسيره، لذا أوصي بإفراد هذا العلم بالمدارسة، لِما فيه من فوائد ومنافع، لكلِّ عالمٍ وباحث.

3- أوصي بالعنايةِ الأكبر بالقرآن الكريم ووجوه قراءاته التي قلّت دراستها وبحوثها في هذه الأيَّام، لأنَّ كلَّ من غاصَ بحرها يعدُّ عالِمًا مُنتسبًا للقرآن.

4- وأوصي الدارسين والباحثين بالعناية بهذا العلم، عند كلِّ المُفسِّرين؛ لِما تعطي هذه الدراسات من خبراتٍ وزيادةٍ في العلم، وبسطةٍ في مَلَكَاتِ التفسير.

المصادر والمراجع:

- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمَّد الضبَّاع، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2009م.
- ابن حميد النجدي،**السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، مكتبة الإمام أحمد، الرياض، 1999م.
- ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1/1979م.
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية.
- ابن كثير، أبو الفداء، اسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة، دمشق، د.ط/2002م،
- ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3/1999م.
- الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان الداوودي، دار القلم، دمشق، ط1، د.تاريخ.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، المكتبة التوقيفيَّة، القاهرة، د.ط، د.تاريخ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل،**صحيح البخاري** "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسننه وأيَّامه"، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1/2009م.
- الحربي، حسين بن علي، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، دار القائم، الرياض، ط1/1996.
- الخالدي، صلاح الدين، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، ط1/2008.
- الداني، أبو عمر، التبيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1/1992.
- ديوانالنابغةالذبياني،شرحوتقديم: عباسعبدالساتر،دارالكتبالعلميَّة،بيروت،ط3/1996م.
- الذهبي، شمس الدين،**سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعةمنالمحققينبإشرافالشيخشعيبالأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3/1985م.
- الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1/1976م،

- الرازي، فخر الدين، **المحصول في علم الأصول**، تحقيق طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط/1990م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/2003.
- الزركشي، محمد بن بهادير، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، عيسى البابي الحلبي، ط1/1955م.
- الزركلي، خير الدين،**الأعلام**،دار العلم للملايين، ط15/2002م.
- الزمخشري، جار الله محمود،**أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1/1998م.
- الزمخشري، جار الله محمود،**الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ضبط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط3/1987م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن،**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل- بيروت،ط1/1992م.
- السيوطي، جلال الدين،**طبقات المُفسّرين العشرين**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1/1988م.
- السيوطي، عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1/1974م.
- شمس الدين، جعفر، **الموسوعة القرآنيَّة**"خصائص السور"، تقديم: عبد العزيز التويجري، دار التقريب بين المذاهب، بيروت، ط1/1999م.
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار البيضاء، الجزائر، ط5/1990.
- **صيغ الترجيح وقواعده عند القاسمي في تفسيره**، للطالب محمد عبد الله عباس محمد، جامعة تعز- اليمن، مجلة السعيد للعلوم الإنسانية، مجلد 3، عدد1/يونيو/2015.

- الطاهر بن عاشور، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1/1984.
- الطبري، ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط/2010م.
- العلاونة، أحمد،**خير الدين الزركلي**، المقدمة، دار القلم، دمشق، ط1/2002م.
- العليمي المقدسي، مجير الدين،**فتح الرحمن في تفسير القرآن**، تحقيق بدر الدين طالب، ضبط وتخريج: نور الدين طالب، دار النوادر – بيروت،ط2/2011.
- العليمي، مجير الدين، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق: محمود عودة الكعابنة، مكتبة دنديس – عمَّان،ط1/ 1999م.
- العليمي،مجير الدين،**الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة التوبة– الرياض،ط1/1992م.
- العليمي،مجير الدين،**المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار صادر – بيروت، ط1/1997م.
- الغزي العامري،محمد كمال الدين،**النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل** (من سنة 901هـ حتى 1207هـ)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر – بيروت،ط1/1982م.
- كحالة، عمر، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى– بيروت.
- مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب، الرياض، ط1/1998م،
- معجم القراءات القرآنية (مع مقدمة في القراءات وأشهر القرَّاء)، أحمد مختار عمر– عبد العال سالم مكرّم، جامعة الكويت، منظمة الحج والأوقاف والشؤون الخيريَّة، ط1/1991م.
- النجدي الحنبلي، محمد بن حميد،**السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، مكتبة الإمام أحمد،
- الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1991م،
- يُنظر: رسالة ماجستير بعنوان "الوحدة الموضوعيَّة لسورة البقرة"، إعداد: إبراهيم أحمد البحري، جامعة صنعاء، اليمن، كلية التربية، 2002م.